المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

الدكتور عبد الرحمن الكيالي

الشعر الفلسطيني

في نكبة فلسطين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٩٧٥

الفصل الثاني

مظاهر النكبة وأبعادها

١ ـ اللاجئون :

استولى اليهود على أكثر أراضي فلسطين ومدنها وقراها فارغة من السكان ، ولم يبق من المواطنين العرب الفلسطينيين في ديارهم تحت حكم اسرائيل سوى عدد قليل ، قدر حينئذ بمائة وسبعين الفا ، أكثرهم يعيشون في قرى وبعض مدن المناطق الشمالية، أما الآخرون من أهالي فلسطين وهم الاكثرية الساحقة ، فقد تشردوا عن أوطانهم لاجئين : الى المناطق الفلسطينية التي سلمت من السقوط بيد اليهود ، كقطاع غزة على ساحل فلسطين الجنوبي ، والجزء الشرقي الاوسط من فلسطين ، الذي ألحق بالمملكة الاردنية الهاشمية وسمي « الضفة الغربية » لنهر الاردن .

ثم الى المملكة الاردنية ذاتها شرقي الاردن ، والى الاقطار العربية المجاورة كسوريا ، ولبنان والعراق ومصر والكويت وغيرها ، وقد أربى مجموع اللاجئين الفلسطينيين في نهاية عام ١٩٤٨ ، على مليون نسمة [١] . لقد أصبح هؤلاء جميعا لاجئين دفعة واحدة ، بلا مأوى ولا عمل ولا مورد رزق ولا وطن ولا سكنى ، فصاروا عالة على غيرهم ،

---

(١) هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ، ترجمة وديع فلسطين ص ٥٧ ، ٥٨ .

وظهرت حاجتهم الملحة الى الغوث والاحسان ، فكانت هذه الظاهرة أشد مأساة يعانونها ، ويشاركهم في معاناتها بعمق شعراؤهم الذين أذهلتهم الكارثة ، فتفجعوا وناحوا على أهلهم وأنفسهم ، وفي مقدمة هؤلاء الشاعرة سلمى الخضرا الجيوسي التي تقول :

راعبا ضج الرنين ثم ذاك الصوت ملحاحا حزين
« أرسلي غوثك شرقا كل أعمامك أمسوا لاجئين »
فتنهدت مليا وتحرقت عليهم (٢)

ثم أرسلت لاعمامي ثيابا كنت قد جمعتها للسائلين
وزبيبا كان عندي لم نكن نأكله
وقروشا لزجة لا وهج فيها أو رنين
منذ ذاك الوقت لم أمنح قروشي سائلا
فبنو عمي أمسوا لاجئين
يا بني الموتى ! أموتي مثلهم ؟ أم يتامى
أم بقايا الجرح من شعب حزين
نحن هذا كله . . . . . .
كلمة مبحوحة الجرس نشاز جمعتنا (٣)
« لاجئين »

ب - التشريد والبطالة :

وتمزق الاهل ، وشتتوا في بقاع الارض المختلفة : في المضارب وتحت الخيام وفي الكهوف والغيران ، فكان النحيب والبكاء ، وفاضت آلام

(٢) ، (٣) سلمى الخضرا الجيوسي : العودة من النبع الحالك، ص ١٤٦، ١٦٠ ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٠ .

٢٣٢

الشعب الذبيح على ألسنة الشعراء فسالت بكاء ونحيبا في نواح الشاعر أبي سلمى على أهله ووطنه :

زحفت الثم أرضي وهي باكية ... والقلب باك وراحت تنتشي القبل
أهلي على الدهر تدميني جراحهم ... في حبهم يتساوى العذر والعذل
خيامهم في مهب الريح معولة ... ودورهم من وراء الدمع تبتهل
تقاذفتهم دروب العمر دامية ... وأنكرتهم ربوع الاهل والملل
على المشارف أعراض ممزقة ... وفي كهوف الربى الانسان مبتذل
أطوف أحمل أنيّ سرت نكبتهم ... كأنني طيف سار والحمى طلل
في كل شبر شظاياهم مشردة ... وتحت كل سماء معشر ذلل(٤)

وأصبحت الخيام مأوى اللاجئين المعتاد ، فتمثل فيها معنى التشريد والذل والحرمان ، وتجسدت فيها النكبة مأثلة للعيان ، فاستحقت مقت الشاعر رجاء سمرين ونفوره منها حين قال :

وصمة أنت في جبين الدهور ... يا خياما في القفر مثل القبور
أنت مأوى للبؤس شيدك البغي بأيد مخضوبة بالشرور
أنت سفر الآلام سطرك الظلم على رسم حقنا المهدور
كم حوى نسجك الارث عزيزا ... يفسح الدمع في كم الديجور(٥)

وتعنف الكارثة على الشعب الفلسطيني المشرد فتسود أيامه ويعيش على صدقات من أذلوه وشردوه ، ليبقى متعلقا بالامل الكاذب وهو في حالة يتمنى فيها الموت ولا يجد اليه سبيلا كما يحدثنا سعيد العيسى عنه :

---

(٤) عبد الكريم الكرمي : اغنيات بلادي ، ص ٨٣ .
(٥) رجا سمرين : الضائعون ، ص ٢١ ، مطابع الشركة الصناعية ، عمان ١٩٦٠ .

يا فلسطين – والحياة كفاح – وتفير التحرير ماض ينادي
والشباب الوثاب يغلي حماسا والصبايا تتوق للانجاد
سوف نأتيك كالنسور جموعا نملأ الجو في الذرى والوهاد
لن تنال الآلام منا ولكن هي للشعب حافز للجهاد
سوف يروي التاريخ عنا بأنا أمة قد صحت بعيد الرقاد
وأعادت ما كان من مجدها الدا ثر صلب البناء كالاطواد (١٥)

أما برهان الدين العبوشي فيحرض النازحين على العودة بالقوة ، ويذكرهم بأمجادهم وبلادهم وآلامهم في الغربة ، لحفزهم ودفعهم الى الزحف والخروج من الشقاء المخيم عليهم ، وانزال الضربة القاضية بالعدو ، وجعل الشقاء جسرا للسعادة .

أيها النازحون عودوا رجوما للشياطين فالبلاد تنادي
فادخلوها مدججين ودكوا كل شبر من قلعة الاوغاد
أيها النازحون أنتم ضحايا قدمتها الاطماع للاحقاد
ارجعوا سادة ولا تتركوها واجعلوا «تل ابيب» ذر رماد
فازحفوا واصمدوا واكونوا جميعا واضربوا واقتلوا عدو البلاد
واجعلوا من شقائكم دار نعمى ومن الدمع جنة الاحقاد (١٦)

ولد رجاء سمرين سنة ١٩٢٩ في قرية « قالونيا » بجوار القدس . وأتم تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس قريته ومدارس القدس . ثم سافر الى مصر عام ١٩٤٨ والتحق بكلية اللغة العربية في الازهر ، وتخرج فيها عام ١٩٥٥ ، فعاد الى الاردن واشتغل بالتعليم في المدارس

(١٥) رجاء سمرين : الضائعون ، ص ٣٥ .
(١٦) برهان الدين العبوشي : النيازك ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

الثانوية ، لكنه عاد الى مصر خلال الستينات وبقي هناك . وقد عرف بالشعر منذ أوائل الخمسينات وطبع له منه ديوان صغير اسمه «الضائعون» التزم فيه بقول الشعر في موضوعات النكبة الفلسطينية (١٧) .

ويهيج الشوق والحنين الناس الى بلادهم الحبيبة ، فيتحولان ارادة وعزيمة صادقة على اقتحام المخاطر ، لاعادة الكرة على العدو الغاصب ، وتحرير البلاد . وتصبح هذه الارادة فكرة فايمانا يستبد بالقلوب ، ويشيع فيها الطمأنينة والثقة بتحقيق العودة واللقاء السعيد بين البلاد وأهلها . وبهذه الثقة الغنية بالتفاؤل غنى مصباح العابودي مخاطبا بلاده :

بلادي بنوك على عهدهم ... وفاء بحبك يا غالية
قلوب تذوب حنينا اليك ... فما قط سال ولا سالية
سنرسلها مثل قصف الرعود ... غدا صيحة ! صيحة عالية
وفي كل بُرد «صلاح وهند» ... يُعدان للجولة الثانية
بلادي اطمئني فانا هنا ... نصوغ اليك عقود المهج
بلادي استعدي ليوم اللقا ... ء فيوم اللقاء وليد درج

مصباح العابودي شاعر فلسطيني ولد في طبريا سنة ١٩٠٨ . ونشأ في طولكرم ، وأصله من قرية عابود من قضاء بني زيد بجوار مدينة « رام الله » . تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينة طولكرم وفي الازهر الشريف بالقاهرة . اشتغل بالتعليم والصحافة ، والاعمال المصرفية حتى عام النكبة ١٩٤٨ ، ثم عاد الى الازهر فأتم تحصيله العالي في كلية اللغة العربية عام ١٩٥٥ ، وعين مديرا لثانوية الزرقاء بالاردن ، ثم موجها تربويا عام ١٩٦٢ (١٨) .

---

(١٧) رجاء سمرين : الضائعون ، صفحة الغلاف الاخيرة .
(١٨) البدوي الملثم ، الاديب ، عدد ١١ ، ص ٣٦ ، بيروت .

ومن هذا القبيل أيضا قول الشاعر محمد العدناني :

وطيّ صدورنا أمـل عريض ... يراودنا ويصمي اليأس فينا
يعللنا بقـرب ظهـور فـذ ... يقود الى السماك العائدينا
يؤلّف بينهـم جيشا لهامـا ... له تجثو الجحافل راكعينـا
يدوي زحفه في كل صقـع ... فيخشى فتكه المستعمرونا (٢٤)

أما السيد محمود الحوت فيعين المنقذ بالاسم ، ويدعوه الى تحرير فلسطين واعادة اللاجئين •

يا أخي يا جمال •• يا منقذ العرب ... ويا قائد البـلاد المفـدى
طـاب للنـازحين أن يبعثوهـا ... «واجمالاه» في فم الدهر تشدى
أنقذوا أنقذوا فلسطين فالغـرب ... رمى شعبها فأصمى وأردى (٢٥)

هـ ـ العـودة والسـلام :

السلام غاية انسانية شريفة تهفو البشرية جمعاء الى تحقيقه والعيش في ظلاله ، لنشر الطمأنينة والنمو الطبيعي ، ولازدهار الحياة وللسعـادة فيها والسعي من حسن الى أحسن ، لكن هذا الامر لا يكون مقبولا الا بعد أن تبسط العدالة جناحها ، ويزول الظلم عن المظلومين ، والا فانه يكون تثبيتا وعونا للظلم والظالمين على البقاء ، ومن هذه الجهة يرفض الشعب الفلسطيني أن يدعى الى اقامة سلم بينه وبين غاصبي أوطانه ومخرجيه منها ، قبل أن ترد اليه حقوقه المشروعة كاملة في العودة الى وطنه وتقرير مصيره بنفسه ، أما بعد أن يتم ذلك فهو شعب مسالم ، يمـد يـده الى شعوب الارض كلها ، ليبني معها قواعد السلام الكريم العادل في العالم •

---

(٢٤) محمود الحوت : ملاحم عربية ، ص ٥٩ .
(٢٥) محمود الحوت : ملاحم عربية ، ص ٥٩ .

وهذا المعنى هو الذي أوحى الى الشاعر رجا سمرين بوصيته الى ولده :

أما بلادك يا نزار فان قصتها عجيبة
هي قصة الشعب الشريد وقصة الارض السليبة
فادع الرفاق اذا كبرت ليجعلوا منها الحبيبة

★ ★

واذا أعدت مع الرفاق حقوقها بعد الجهاد
وانهارت النظم التي قامت على أسس الفساد
وتطايرت أجساد من خانوا كذرات الرماد
فاجعل نداءك للسلام وللعدالة والوداد (٢٦)

ويردد هذا المعنى بالذات هارون هاشم رشيد :

قولوا لهم أين السلام الحق أشياع السلام
من أين يبلغنا السلام وفي فلسطين اللئام
يتمتعون بليلها ونموت في ليل الخيام
الجولة الكبرى غدا لا بد منها للكفاح
سنشيد أعمدة العدالة الحضارة والصلاح
ونكون نحن بناءها العالي اذا ما الفجر لاح (٢٧)

وكذلك يرفض محمود الحوت دعوة اللاجئين الى السلم قبل تحقيق العودة بالحرب وقهر العدو وازالة اسرائيل ٠

هبي رياح الردى فالموت أفضل من حياة شعب أذلوه برمته
لا لن نرى السلم الا بعد عودتنا مع الدمار المغني لحن نقمته

---

(٢٦) رجاء سمرين : الضائعون ، ص ١٦ ٠
(٢٧) هارون هاشم رشيد : عودة الغرباء ، ص ٤٨ ٠

هذا الكتاب

لعل نكبة فلسطين أن تكون أعظم حدث في تاريخ العرب المعاصر . لقد جاءت هـــذه النكبة إفرازاً طبيعياً لعوامل ومؤثرات متشابكة ، امتـدت جذورها إلى أحقـاب طويلة قبـــل العصر الحاضر . وهي الآن ظاهرة ذات أبعاد وتفاعلات تخضع لها وتتأثر بها كل جوانب المرحلة الراهنة .

إن المؤلف يأخذ على عاتقه ، في هذا الكتاب (الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين) دراسة ظاهرة فنية ذات صلة لصيقة بهذه النكبة التي يعيشها الفلسطيني بخاصة ، ويتأثر بها العرب عامـة .. وهو يدرس الشعر العربي الفلسطيني الذي فجَّره زلزال النكبة فانبثق على هيئة فيض فني أدبي ، صور مأساة هذا الشعب وأحاط بها إحاطة واعية شاملة ، فكان في جملته انتاجاً لأقسى تجربـــة عاناها شعب في العالم .

وهكذا فإن شعر النكبة لم يبقَ سجين أقبية الظلمة ، بل انطلق في مجالاته الفنية والأدبية الحرة ، فنما وتحرك وأثرى وتفاعل ، والكتاب إنمـا هو متابعة لهذا الكائن الفني منذ ولادته ، بالمعرفة والدراسة والتمحيص ، ومراقبة مراحل نموه وتفاعلاته وما يطرأ عليه من التغيرات ، وما يحدثه من التفاعلات المغـيرة فيما يحيط به .

إنه كتاب قيِّم وشيِّق لموضوع بالغ الأهمية والخطر .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
شارع سوريا - بناية صعب وشركاه
ص.ب: ٥٤٦٠ - تلفون: ٢٥٦١١٠
بيروت - لبنان

الثمن : ١٥ ليرة لبنانية
أو ما يعادلها